والصرامة ، كابن ابي العلاء ، يفدون على الاندلس مجاهدين مرابطين غضبا لدينهم ، وحمية لاخوانهم .

جاء عثمان الاندلس فتولى «مشيخة الغزاة» وحسن بلاؤه ، وعظمت مكانته فكان شجى في حلوق الاسبان ، وكان غصة لبني الأحمر شاركهم في سؤددهم حتى كاد يستأثر بالامر دونهم وهو من قبل خصم قومه ملوك المغرب ، ثار عليهم وزلزل دولتهم زمانا . لم يكن عثمان ملكا ولكنه :

كان من نفسه الكبيرة في جيـ ـش ، ومن كبريائه في سلطان

تولى زعامة الغزاة ثلاثا وعشرين سنة فما وهن عزمه ، ولا فل حده ، ولا أغمد سيفه ، ولا خمد سرجه ،

وما كان الا النار في كل موضع تثير غبارا في مكان دخان والنفس الكبيرة تستهين بالصعاب ، وتطرق على المنايا الابواب . وما الجيوش الجرارة ، والحروب المستعرة في همة الرجل العظيم اذا صمم .

فأثبت في مستنقع الموت رجله . وقال لها : من تحت أنت لك الحشر

حسبي من الافاضة في وصف عثمان ، والاشادة بذكره أن أنقل هنا ما كتبه أصحابه الغزاة على قبره :

« هذا قبر شيخ الحماة ، وصدر الأبطال والكماة ، واحد الجلالة ، ليث الاقدام والبسالة ، علم الأعلام ، حامي ذمار الاسـلام ، صاحب الكتائب المنصورة ، والأفعال المشهورة ، والمغازي المسطورة ، وإمام الصفوف ، القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف ، سيف الجهاد ، وقاصم الأعادي ، وأسد الآساد ، العالي الهمم ، الثابت القدم ، الهمام الماجد الأرضى ، البطل الباسل الأمضى ، المقدس المرحوم أبي سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل الهمام الكبير الأصيل الشهير المقدس المرحوم أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق.

كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفقها بين روحة في سبيل الله وغدوة ، حتى استوفى في المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة ، وقطع عمره مجاهدا مجتهدا في طاعة الرب ، محتسبا في اثارة الحرب ، ماضي العزائم في جهاد الكفار ، مصادما بين جموعهم تدفق التيار ، وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ، ما سار ذكره في الأقطار ، أشهر من المثل السيار ، حتى توفي رحمه الله وغبار الجهاد على أثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفر واحزابه . فمات على ما عاش عليه ، وفي ملحمة الجهاد قبضه الله اليه ، واستأثر به سعيدا مرتضى ، وسيفه على رأس ملك الروم

## صحائف المجد والخلود

# الفن المصري القديم

— ٣ —

### مصر ملتقى ثقافات العالم :

مرت بمصر في مدى نيف وسبعة آلاف من السنين ، من عهدها قبل التاريخ حتى يومنا هذا ، أربع مدنيات عظيمة : المدنية المصرية أو الفرعونية . وهي عصر تدماء المصريين وملوكهم حتى دخول الاغريق مصر واتخاذهم الاسكندرية مقراً للحكم . والمدنية الاسكندرية ، وهي عصر الاغريق والرومان الذين كانت الاسكندرية في عهدهم عاصمة البلاد . والمدنية المسيحية ( أو القبطية البيزنطية ) وهي عصر خضوع مصر للديانة المسيحية وظهور الاقباط . ثم المدنية الاسلامية ، وتبدأ بدخول العرب مصر وتغلب الديانة الاسلامية على البلاد .

ومن ذلك تجمع مصر لنا في آثارها أعظم سجل للحضارات البارزة ، وأجل كتاب يقرأ عن العصور المتعاقبة في تاريخ الانسانية. دع عنك ما شهدت مصر من مختلف الشعوب التي تتابعت على أرضها في الفتوح المتوالية ، وما تركت هذه الدول في وادي النيل من صور للثقافات المتباينة . حتى لتكفي مصر وحدها ان تعطي لمن يرغب في دراسة الفن كل شيء ، وتكفيه المؤونة في كل ما يريد عليه. واننا اذا وضعنا تحت عيني القارىء بأن أديم مصر قد كان مسرحاً كبيراً لغالب الأمم التي عرفها التاريخ ، مثلت فيه كل واحدة دورها ، وصرعت عليه أمة بعد أمة . وإذا أشرنا الى أن كل أمة من هذه الامم تركت على هذا الاديم أثراً من ثقافتها ، وأثراً من نفسيتها ، ان كبيراً أو ضئيلا . فقد تكون مصر وحدها أجدر دول التاريخ بالدراسة . فضلا عن أنها المصدر الاول للمدنيات جميعاً.

---

منتضى ، مقدمة قبول وإسعاد ، ونتيجة جهاد وجلاد ، ودليلا على نيته الصالحة ، وتجارته الرابحة .

فارتجت الأندلس لبعده ، أتحفه الله برحمة من عنده . توفي يوم الاحد الثاني لذي الحجة من سنة ثلاثين وسبعمائة . رحمه الله .»

عبد الوهاب عزام

ويكفى لنقرر كيف جمعت مصر فى أرضها حضارات العالم بأجمعه بأن نشير الى العناصر التى دخلت فيها من الحروب والفتوح ، مدى التاريخ القديم حتى يومنا هذا . فقد تعاقب على مصر من عناصر الأمم المختلفة : الساميين . والهكسوس ( البدو الرعاة ) . والليبيون . والأتيوبيون ( النوبيون ) . والأشوريون . والفرس . والاغريق . والرومان . والعرب . والمغـــاربة . والاكراد . والشراكسة . والاتراك . والفرنسيون . والانجليز . وقد احتك بها فوق ذلك من الامم الأخرى : الحثيون . والكلدانيون . والفينيقيون . فلا عجب أن تكون مصر خير أمة يجب دراسة تاريخ الفن فيها . بل ما أجدرها أن تجتمع حولها الدنيا الحديثة لترقب فى آثارها وسجلاتها صوراً خالدة من الدنيا القديمة . وتقرأ فى مظاهرها المتباينة كتابا جليلا من كتب المجد لم تجمعه أمة غير مصر .

وقد يجب أن تعتبر مصر ملتقى ثقافات الشرق بالغرب . بل ان ثقافة مصر ذاتها نشرت على البلاد المجاورة لها نوراً كان له الأثر الظاهر فى حضارتها وتفكيرها .

وقد نأخذ دليلا على ذلك فتوح مصر القديمة على يد جيوش « تحوتمس الثالث » و « رمسيس الثانى » مثلا . فان أمثال هذه الفتوحات قد تركت فى كل مكان ، من الغرب للشرق ، ومن الشمال للجنوب ، أثراً ، لا تزال بقاياه تشاهد فى الآثار الموجودة حتى أقصى الفرس ، وحتى أقصى بلاد المغرب ، وحتى أواسط افريقيا ،

***

ولكن مصر ظلت مدى هذه التطورات التى مرت بها محافظة على قومية خاصة فى فنها لم تعرف لها ظاهرة فى أى أمة أخرى . فى عهد المدنيات الاربع المتعاقبة على تاريخها ، التى ذكرناها ؛ وفى عهد الاقتباسات الفنية القليلة التى دخلت على الفن المصرى فى بعض فترات من التاريخ ، كان للفن عندها طابعه الخاص . لا يخطىء قوميته أو روحيته الملازمة له . فهى ان كانت فى إبان المدنيات الاربع قد انتقلت من عصر الى عصر ، يكاد يكون كل واحد منه غريبا عن أخيه فى ثقافته ونظامه ، حتى ليظهر جديداً كل الجدة عما كان مألوفاً من قبل . وان كانت الحياة قد تطورت عندها ، من مصرية فرعونية ، الى أغريقية ورومانية ، الى مسيحية وقبطية ، الى اسلامية ، الا أن الفن فى إبان هذه الثقافات الطارئة كان مصرياً . مصرى الشخصية والروح . أو أن البلاد تصرفيها الفن ، أو هى مصرت فن كل مدنية من تلك المدنيات ، وذلك ليلائم طبيعة مصر ، ويتمشى مع ذوقها .

وان كان من شاهد يطلب على ذلك ، فقد نشير الى آثار الفن فى العصر الذى حكمت فى مصر فيه الأغريق والرومان مثلا ، ونقارنه فى نفس الوقت بما كان من آثار الفن الاغريق والرومانى فى بلاد الاغريق والرومان ذاتهما . فلا شك سيظهر ذلك الفرق واضحاً بين روحية الفن فى المكانين . فى الاغريق والرومان متشحاً بذلك الوشاح الظاهر من الاجهاد والتعمق . وفى مصر بسيطاً وديعا رشيقاً .

وكما نطبق هذه الحال على العصر الاغريق والرومانى ، نطبقها ايضا على العصر المسيحى القبطى ، الذى كان فاشيا فيه نوع الفن البيزنطى . فان نفس تلك الظاهرة التى بيناها ستفرق مافى مصر عما كان مألوفا فى ذلك العهد من نفس نوع الفن فى القسطنطينية مثلا ، مهبط الفن البيزنطى .

وهكذا ايضا الفن الاسلامى . فقد يكفى بلا كبير عناء مقارنة ما فى مصر من آثاره بما هو موجود فى بلاد المغرب مثلا التى نقلت الى مصر الاسلوب الفاطمى . أو ما هو موجود منه فى بلاد العراق وسوريا اللتين ارتبطت مصر فى طويل من الزمن معهما فى عصر من الاسلوب والشكل . فقد خضع الفن الاسلامى نفسه فى جو مصر لمزاج أهل مصر ، وللروح المصرية . فى حين أن له فى كل مكان ، وفى بلاد الاسلام جميعا ، صبغة عالمية . فاضطر الفن لذلك أن يتكيف فى الارض المصرية بالطابع الذى تتميز به مصر دائما ، وهو طابع الاحتشام والبساطة والرقة الذى يعطى مع ذلك أروع وألطف ما يكون من التأثير .

وحينئذ فقد بقى لمصر فنها الخاص بها ، المنطبع بالطابع المصرى الصميم ، الذى لم يخطىء غرضه ، ولم يشذ عن طريقه ، منذ أخذت مصر مكانها تحت الشمس . وفى ذلك سر من اسرار عظمة مصر الفنية التى يعترف لها بها التاريخ .

واذن فالفن المصرى جدير بالدراسة قبل كل الفنون الاخرى . اذ هو فضلا عن كونه فنا محليا غير مقتبس فى أصله من أى بلاد اجنبية ، بخلاف غيره . وفضلا عن أنه الفن الوحيد الذى احتفظ مدى التاريخ بشخصيته الخاصة التى اقترنت باسم مصر . فانه المرآة التى تنعكس علينا ثقافات الاجيال المتعاقبة مجتمعة فى سجل واحد ، هو الآثار المصرية القديمة .

ودون ذلك يجب ألا ينسى فضل الفن المصرى على فنون العالم : فى أنه المصدر أو المدرسة الاولى التى تلقنت عنها دروس الفن أمم الارض جميعا .

« يتبع »

أحمد يوسف
بالمتحف المصرى